مجلة علمية دولية محكّمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد 09/ العـدد 02/ ديسمبر (2025)، ص.ص. 382-393

جسدنة العلامة: من العلامة كأثر إلى الأثر كعلامة.

Somatization of the sign: From Sign to Significationt

سهيلة مجاهد
medjahed.etu@univ-mosta.dz
عبد الحميد ابن باديس، مستغانم (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2025/03/11 تاريخ القبول: 2025/04/01 تاريخ النشر: 2025/12/02

ملخص:
يُعتبر مقال "حول تكييفات الكينونة" لصاحبة ألجيرداس جوليان غريماس بمثابة الإعلان الرسمي عن التفاتة السيميائيات للجسد واهتمامها بالذات البشرية؛ إذ عمدت على إرساء الوساطة الجسدية داخل تصور العلامة الجديد وتحريرها من فكرة التجريد؛ لتغدو ذات تعالقات جسدية وحسية تسمح لها بمسايرة الصرح الثقافي المتجدد الذي راح يلتفت صوب المهمش ويصغي إلى المسكوت عنه. انطلاقامما سبق جاء مقالنا هذا بمثابة بحث عن الكيفية التي تمت بها جسدنة العلامة، وتتبع ملامح إرساء الجسد داخلها حتى يغدو جزءا لا يتجزأ من تركيبتها.
كلمات المفتاحية: السيمياء، الجسد، العلامة، البصمة.

Abstract:
The article : On the modeling of Being, by Algirdas Grimas is theofficial declaration of semiotics attention to the body and its interest in thehuman self as it intended to establish the body mediation in the new signideation, and to make it away from abstraction. To give it all the physical andsensual connections in order to keep up with the new cultural movment thatcares about evrything marginalized, and is now listening to those multed voices.
Based on the above, this article come as a research on how the sign was somatized, and follow the features of anchoring the body inside it, so that it becomes an integral part of its structure.
***Keywords**: Semiotics, Body, Sign, Signification.*

مقدمة:

عُرفت السيميائيات بمراجعاتها التّؤوبة لتصوراتها ومنجزاتها الفكرية؛ بغية مسايرة الطرّح الفلسفي والصّرح الثّقافي المتجدّد، وها هو الجسد بعدما علا صوته في الساحة الفكرية الغربية، والتفت حوله العديد من المجالات المعرفية مُساءلةً واهتمامًا من فلسفة وطب، تحليل نفسي، علوم معرفية وأنتروبولوجيا، يُقلق راحة علم العلامات، ويهدّد استقراره بتسليطه الضّوء على فراغاته ونواقصه، ولعل ما جعل السّيميائيات تأخذ منعطفا نحو الجسد، هي تلك الحقول التي لها تعالقات تصوراتية وفكرية معها، ونخص بالذّكر هنا: التّداولية واللّسانيات التي استطاعت بتجاوزها للملفوظ إلى التّلفظ أن تخجل السّيميائيات، وتُحرّضها على التّفكير مليًّا في استضافة الجسد، دون أن ننسى ما قدمته الفينومينولوجيا، خاصّة الميرلوبونتية، من تصورات غيّرت النّظرة الدّونية للجسد، وأخرجت الإدراك من برجه العاجي ليصبح مُعطى جسدي[1].

وبما أنّ قوام السّيميائيات هو العلامة؛ فلا يمكنها أن تُحدِث أي تغيير دون أن تقف عندها مساءلة عن مدى قدرتها على استيعاب هذا الزّحف الجسدي، ومواكبة المعطى الفينومينولوجي عند **موريسميرلوبونتي** Maurice Merleau-Pontyالّذي ربط الذّات بالعالم، وحرر الظّاهراتية من فكرة التّعالي المُلحقة بها من طرف **هوسرل**؛

فالوعي -حسب **ميرلوبونتي**- هو دائما وعي متجسّد[2]، وانطلاقا من ذلك، لم تعد العلامة(دال / مدلول) قادرة على استيعاب هذا المدّ المعرفي الجديد، خاصة أنّ **فيرديناندي سوسور** Ferdinand de Saussure كان قد أقصى المرجع من تركيبة العلامة، باعتبارها لا "تربط بين اسم وشيء، بل تربط بين صورة سمعية وتصوّر ذهني"[3]، كما غيّب الجسد منها حتى لا يشوّش بتقلباته الحسيّة والانفعالية على طابعها البنيوي، ومسارها الخطّي من الدّال signifiant إلى المدلول signifié؛ إذ أنّ الجسد بخصوصيته يتنافى مع المبادئ البنيوية المتمثلة في الشّمولية والمحايثة.

وقد حذت السّيميائيات، ذات المنحى البنيوي، حذو **دي سوسور**، وراحت هي الأخرى تقصي الجسد - عن قصد- محاولة بنينة وبرمجة السّيرورة الدّلالية؛ إذ أفرغت الذّات الفاعلةمن إحساساتها وحرمتها من لحمها وحواسّها، مبقية على الفعل action وحده داخل الخطاطة السّردية والمسار الدّلالي؛ بغية خدمة النّسق والدّراسة المحايثة.

والحق أنّ **ألجيرداس غريماس** Algirdas Julien Greimasكان قد أشار، منذ بداياته التّأسيسية للسّيميائيات، إلى البعد الانفعالي، وإلى الوساطة الجسدية la médiation corporelle في بأكورة أعماله: " **علم الدلالة البنيوي**" سنة 1966، ليُعاود سنة 1979 الإشارة إليها في "**القاموس المعقلن لنظرية اللغة**"[4] الذي ألّفه بالاشتراك مع **كورتيس**؛ إلحاحا واعترافا منه بحضورها في الحقل السّيميائي كإحدى مصطلحاته ، لكنّه أرجأ استعمالها نظرا لأنّها لا تخدم التّوجه الفلسفي السّائد آنذاك، والّذي كان لا يحتفي إلّا بالفعل على حساب الانفعال، وبالظّاهر على حساب الباطن، والنّسق على حساب السّياق.

1. الأهواء: منطلق العلامة المجسدنة:

إن السّيميائيات التي همشت الجسد في شقها البنيوي عادت في ثمانينات القرن العشرين للاهتمام به من جديد فأعادت للذّات البشرية انفعالاتها أولا، تحديدا مع المقال الذي كتبه **غريماس** سنة 1983، تحت عنوان: **حول تكييفات الكينونة** "de la modalisation de l'être "، ليُعلن بذلك عن ميلاد سيميائيات جديدة تأخذ في حسبانها أن الهوى جزء لا يتجزأ من الانبثاق الدلالي، يشارك في تشكيل المعنى، ويترك آثاره داخل الخطاب؛ متجاوزة بذلك الفعل action إلى الانفعال المولّد له[5]، تجاوزًا طال التّصور السيميائي للعلامة؛إذ انتقلت هي الأخرى من الجانب الإبستمولوجيإلى الجانب الأنطولوجي، وقد تعزّز فيها هذا الأخير أكثر عن طريق الوساطة الجسدية؛ إذ أتاح **غريماس وفونتاني** Jacques Fontanille للجسد في كتاب: "**سيميائيات الأهواء**" التّربع على عرش العلامة؛ لتنتقل من الثنائية إلى الثلاثية، ومن الخطّية إلى الحلقية، التي مركزها الجسد وطرفاها الدّال والمدلول، أو التّعبير والمحتوى _على حد اصطلاح **لويسهلمسليف** Louis Hjelmslev_ مكتسبة بموجب الجسدنة طابعا خصوصيا فرديا يتجاوز التّعالي اللّوغوسي Logos والتّجريد الذّهني إلى الإقرار بالوجود الباتوسي Pathos داخل العلامة المنتَجة؛ ذلك لأن "الموضوع يبدو جاذبا أو منفّرا قبل أن يبدو أسود أو أزرق، دائريا أو مربعا"[6]، بمعنى أنّه يسجّل حالة توترية سابقة عن أي تفصل دلالي، وإدراك ذهني متعال، وهذا أمر بديهي"لأن الطبيعة الإنسانية محكومة بالهوى أكثر مما هي محكومة بالعقل أو هي ذات روح قيرسية كما وصفها بها **كروتز**"[7]، حتى **سوسور** نفسه لا ينفي الأثر النّفسي والانفعالي سواء للصورة الذّهنية أو الصوتية، خاصّة هذه الأخيرة التي اعتبرها البصمة النّفسية للصوت[8]، لكنه تناولها في جاهزيتها بعيدا عن الكيفية التي تتشكل بها هذه البصمة، مما جعله لا يلتفت إلى الجسد؛ ذلك لأنّ سؤال الكيف هو الذي يدفع بنا للعودة إلى الجسد الإنساني بحثا عن الإجابة، ويتطلب منّا استحضار الجانب الفيزيائي والمادي المنافي للتّوجه السوسوري؛ المنتصر لصالح التّجريد والتّعالي، هذا الأخير يتعارض في حقيقته مع استحضار الأثر النّفسي؛ فـــ"العلامات اللّغوية لكي تكون نفسية أساسا ليست تجريدات"[9] ؛ لأنها تحتوي على جانب ذي خصوصية أو انتماء جسدي وهو النّفس.

2. الحواس والعلامة: أية علاقة؟

إنّ قيرسية الذات البشرية تُفضي إلى استحالة الموضوعية، والإحالة إلى الذّاتية في التّصور الجديد للعلامة، الذي تجاوز سؤال الكيفية إلى الماهية، والانجازية إلى الكينونة؛ أي من العلامة كنتيجة لمسار موضوعاتي تجريدي، إلى العلامة الحاملة لتعالقات حسية، وبما أن الجسد ليس حسّا فقط بل حواسّا أيضا؛ فكان لا بدّ لعلم الدّلالة أن يأخذها

في حسبانه وهو يعمد لتأسيس وساطة جسدية، خاصة أن السّاحة الفكرية والفلسفية آنذاك كانت مشجعة على هذه الخطوة، مع الحبر الوافر الذي أساله **ميرلوبونتي** حول الجسد، ودور المحسوس والحواس في العديد من مؤلّفاته*، وإذا عدنا قليلاً نحو الوراء، تحديدا إلى التّصور السوسيري للعلامة؛ فإنّنا سنجده يشير إلى الوجود الحواسي فيها، على اعتبار أن الدّال يُدرك عن طريق الحواس؛ فهو "التّمثل الذي تقدّمه عنه حواسنا، إنّه شيء حسّي"[10]، لكن **دي سوسور** لم يحضر الحسية في العلامة إلا ليقمعها من جديد بتهميشه للإدراك الخام وعملية حدوثه، نظرا لأنّه يقتضي استدعاء المرجع الخارجي، واستحضار الجانب المادي الجسدي، وهو أمر يشوّش على مبدأ المحايثة المتبنّى من طرف **سوسور**؛ فما كان عليه إلاّ أن يقصي الجسد خيفة أن يخلخل ثبات الدّلالة وشموليتها التي لطالما طمح إليها، حتى أنه وضع للعلامة ما يبرّر ثبوتيتها عندما أرسى العلاقة بين الدّال والمدلول المحصّنة للعلامة من أي تغيير خارج إطار المتّفَق، ذلك لأن التّعليل يؤدي إلى التّعديل، ويحيل إلى القصدية الخاصة ووجهة النّظر الفردية التي تجعل العلامة ذات طابع خصوصي فرداني، يُنافي الجمود الجماعي المقاوم لأي تجديد يطال اللغة، وبالتالي الدّلالة، وبناء عليه سعى **فرديناند** جاهدا إلى تحصين العلامة عن طريق الصرامة النّسقية[11]، من أيّ سياق خارجي لا يحقّق فيها غاية البرمجة والشمولية.

لكن هذا التّحصين لم يصمد كثيرا أمام المد الفينومينولوجي، وانهيار المركزية اللوغوسية؛ إذ عمد **جاك فونتاني** إلى مواصلة المشروع السيميائي الجديد الذي كان قد بدأه مع **غريماس**، عن طريق إقحام الحواس في إشكالية الانبثاق الدلالي؛ راغبا في ترسيخٍ أعمق للجسدنة داخل الدّلالة، وذلك بعبارة صريحة جعلها عنوانا لكتاب له: **الجسد والعلامة** "soma et séma".

وإذا حفرنا قليلا في العلامة، ونظرنا إليها عن كثب سنجد أنّ الجسد ليس دخيلا عليها، بل هو متجذّر في الأصل اللّغوي لها؛ إذ أن كلمة sémeion التي تعني علامة في الثقافة الإغريقية، تعني أيضا العرض الجسدي المصاحب للمرض، كما أنّ الحواس ليست مُضافة على التركيبة العلاماتية، بل تعتبر القاعدة الأساس المحرّضة للإنسان على التفكير في قضية الدّلالة وإشكالية المفهمة؛ فلولا وساطة الجسد وحضور الحواس كمنافذ لامتلاك العالم الخارجي، لما أحس الإنسان بضرورة التّواصل، ولما فكّر في صناعة علامات تحقّق هذا الهدف؛ إذ أنّ "إرادة الغاية تولّد فكرة الوسيلة الكفيلة بتحقيقها"[12]، والحواس هي المفعّل الأوّل لهذه الإرادة، كما أنها وسيلة من وسائل بلوغها؛ كونها "المنافذ الأولى التي تتسرب عبرها المادّة الأولية للإدراك"[13] ؛ فالحس كامن شئنا أم أبينا في أصل الأفكار جميعا[14]، إنّه الإدراك الخامالذي تُبنى عليه الصّور الذّهنية، وأي اضطراب أو عطب أو تشوه في الحواس سيؤدي إلى تغيير في الأفكار والمعاني وتشويش على مستوى الدلالات، بل يكفي أن تصاب حاسة واحدة ليعمّم الاضطراب على باقي الحواس، وفق مبدأ السينستيزيا أو تداعي الإحساسات synesthésie، ويتّسع ليشمل مستوى المعاني والقيم المعطاة للعالم؛ فيعمل على إزاحتها عن مسارها الأول والسابق عن العطب، وهنا نستحضر حالة مريض بعمى الألوان، تجاوز الاضطراب عنده اللون ليشمل حاسة الذوق والشم والسمع، لا في وظيفتها الاتصالية بالعالم، بل في جانبها الأكسيولوجي والدلالي (المعرفي والانفعالي) الناتج عن المعلومات الحسية؛ إذ أصبحت الأطعمة مثيرة للإشمئزاز، وفقدت الموسيقى جاذبيتها، كما تغيرت سلوكات المريض ومشاعره.

وقد استوقفت هذه الحالة **جاكفونتاني** وهو يبحث عن الكيفية التي تجعل الأنظمة الحسية المختلفة تتعاون في تشكيل دلالة متماسكة، واتخذ منها حجة للتأكيد والتشديد على جسدية الدّلالة وتوفيقية الحواس القائمة على نواة حس-حركية، كشرط أساس لتماسك المعنى والوظيفة السيميائية[15]، **ميرلوبونتي** هو الآخر يؤكد ذلك حين يقول:"إنّ الدلالة الشاملة لحياتنا- التي لا تشكّل الدّلالة المفهومية سوى جزء منها- قد تكون مختلفة لو كنّا محرومين من البصر"[16]؛ رافضا صورية الوعي ومقرا بجسدية الإدراك، وبناء عليه؛ فإن محاولة إقصاء الحواس من العلامة، باعتبار أنها تنتمي إلى حقل الطبيعي هي بتر في سيرورة الدّلالة، ذلك لأن ما يلتقطه الجهاز الحواسي، وما يشكّله من إدراكات أصل يُعتبر أساس انفتاح سيرورة دلالية معيّنة؛ ف"الفكر بوصفه يمثّل عالم الأذهان، لا يمكن إدراكه إلاّ عن طريق عالم الأعيان"[17]، والصّورة الذّهنية في قمّة تجريدها هي خاضعة لمنطق الحواس؛ فمثلا استحضار الوردة في الذّهن يستدعي حضور ذاكرة

الحواس، كصورة الوردة الملتقطة بالعين، وملمسها الذي تكتشفه اليد، ورائحتها التي تمدنا بها حاسة الشّم؛ فالحواس تتضافر جميعا في وحدة لتساهم في تشكيل العلامة، ومهما حاولنا صورنة هذه الأخيرة وعزلها عن المنبت الأصل، سيبقى أثر الحواس عالقا بها؛ ذلك لأنّه "لا يكون في العقل شيء لم يُسبق في الحس إلاّ العقل نفسه"[18]، وحتى في حالة العلامة التي لا تملك مرجعا خارجيا مُدركا،كلفظة شيطان مثلا؛ فإننا نسارع إلى إكسابها صورة مرافقة نركبها من موضوعات، أو صور أشياء سبق والتقطناها عن طريق الحواس لتكفل لنا إدراكها.

دي سوسور ذاته لم يتجاوز الحواس إلاّ ليقع فيها؛ فعندما يسمي الدّال بالصورة السّمعية فهو يستحضر حاسّة السّمع، ويتحدث بلغة الحواس ليوصل لنا قصده، ويستقطب إدراكنا وفهمنا، وهذا في حد ذاته دليل على أنّ تهميش الجسد بحواسه وإحساسه من الحقل السيميائي عموما، والعلامة على وجه الخصوص، هو تهميش تعسّفي ومحاولة بائسة ويائسة، ولعلّ هذا ما أدركه **فونتاني** الذي راح يُغيّر الزاوية المنظور منها للسيميائيات، من المنطق البالغ التّجريد والعقلنة إلى الظاهراتية، ومن الشّكلنة والصّورنة إلى الجسدنة، محاولا إخراج النّظرية السّيميائية من تلك الثبوتية المقنّنة إلى الحركية التي تقتضي حضور جسد الفاعل، ذلك لأن "الفعل هو حدث المبادرة الفردية، إنّه أثر حي لحركة وجود عميقة"[19]؛ فأخذُ الفعل بمعزل عن هوية القائم به وجسديته هو سلب لأحقيّة، وإقصاء لسيرورة قبلية، عمدت السيميائيات في ثوبها الجديد على تبنيها والبحث فيها عن الكيفية التي تجعل جسدا ما عبارة عن فاعل؛ إذ لم يعد التعامل مع هذا الأخير من وجهة نظر شكلية، باعتباره مصمما كموقف أو وضعية قابلة للقياس، يُسند إليه القيام بالفعل وفق برمجة مسبقة ومتوقعة، ويُشرَك بصورة سلبية في مسار توليدي آلي واستراتيجي ذي معنى ثابت، بل أصبح المسار ذاتيا يحتضن الفاعل كوضعية جسدية ذات زلات وهفوات، نبضات امتدادات وتقلصات، تشارك جميعها في تشكيل السيرورة؛ فالجسد عبارة عن تكييف يوفر أحد جوانب المادة السيميائية باعتباره جزء من التركيب الرمزي، يساهم في أيقنته، ويتشكّل في أحضانه انطلاقا من تفاعل المادة والطاقة، كما أصبحت حركة السيميوزيس تتناغم مع الحركة الجسدية الحميمة وتمشي وفق إيقاعها وخصوصيتها.[20]

3. من أجل علامة مجسدنة: هيلمسلف بديلا عن سوسير:

إنّ سؤال الكيف الذي أقلق راحة النّظرية السّيميائية، وراح يؤسّس لمنعطفاتها، جعل فونتاني يفكّر مليا في تبني الطّرح الهيلمسليفي للعلامة، ويتّخذ من عنصريها (التعبير/ المحتوى) كبديل لـ (الدّال/ المدلول) السوسوري، نظرا لأنهما يلائمان أكثر الهدف المنشود، المتمثّل في جسدنة العلامة؛ إذ يرى **فونتاني** أنّ الافتراض المتبادل بين التعبير والمحتوى هو علاقة تضامن هشّة ومتحرّكة ولها دافع يتطلّب شرح الفاعل وتفسيره [21]، ولو أمعانا النّظر فيما قدّمه **جاك فونتاني** لتعليل هذا التغيير، سنجده يحمل التّصور الحديث للعلامة، الذي يتجاوز الاعتباطية إلى التّعليلية، ويلغي الثّبات لحساب الحركية،كما يفضح الهشاشة المنافية لذلك الجمود الجماعي، وادعاءات الصمود أمام الفردية والانفعالات والتصورات الشخصية، وهذا في حدّ ذاته استدعاء للجسد باعتباره مُفعّل السيميوزيس، وتحقيق لوساطته كهيئة مشتركة بين خطاطتي العلامة (التعبير والمحتوى)، وبين الاستنباه الدّاخلي interoceptivité والخارجيextéroceptive، ليصبح الجسد بموجب ذلك كافلا وضامنا لاجتماعها[22]، وبعبارة أخرى إنّه الواصل والفاصل بينهما، تماما كالخط الذي رسمه **سوسور** ليبيّن العلاقة بين الدّال والمدلول؛ إضافة إلى ذلك، فإنّ كل عنصر من عنصري العلامة الهلمسليفية ذو شكل ومادّة يؤسسان لفيزيقيتها، مما يجعلها تلائم الحقل المعجمي الفيزيائي الذي اعتمده **فونتاني** في مشروعه المتمثّل في سميأة sémiotisation الجسد، وقبله مع **غريماس** في سيميائيات الأهواء، دون أن ننسى أنّ المحتوى يتطلّب وجود حاوٍ، ولن يكون هذا الأخير إلاّ جزء من الجسد الإنساني، هذا إن لم يكن هو الجسد في حدّ ذاته.

أرجعت الوساطة الجسدية بين التّعبير والمحتوى للعلامة أنطلوجيتها وخصوصيتها signe propre لأنها بقدر ما تحمل من توافق راجع إلى الذّاكرة الجمعية والمتّفق، تحمل أيضا اختلافا راجعا إلى خصوصية الذات البشرية، التي تؤدي إلى إحداث خروج عن الدلالة الأصل(أو التي تُعتبر أصلا) للعلامة، ونشر شبكة تدليلية تطال كافة مناطق الوجود الإنساني[23]، وهذا إن دلّ على شيء فهو دليل على سيمولاكرية الأحادية واستحالة التّطابق؛ ف"عالم العلامات هو عالم

اللّاتحديد وعالم التّعددية"[24] يدخل فيه الفردي كتكتيك يشوش على استراتيجية المشترك الجماعي، ويؤسس لإبداع وابتكار يستحيل معه التكرار المتطابق، مما أدى إلى فتح باب كان قد سكت عنه **سوسور** باعتباره لا يخدم توجّهاته الفكرية، ألا وهو باب التأويل، ولنتريّث قليلا عند هذه النقطة بالتّحديد ونقول: إذا كانت الغاية من صناعة العلامات وتشكيلها هو تحقيق التواصل الاجتماعي؛ فهذا يتطلب حضور العنصر الثالث (التّأويل) داخل العلامة، واستحالة الثنائية، باعتبار التواصل أخذ وعطاء، وهذا يشير إلى أن التصور السوسوري للعلامة فيه بتر لعنصر ثالث هام يجعل المتلقي ذو صورة استقبال إيجابية تكفل له الحوارية في التواصل، لا في صورة سلبية كما يدّعي **سوسور**؛ إذ أن التصور الذهني للعلامة عند الباث قد يختلف عن التصور الذي يحمله المتلقي؛ فالعلامة بقدر ما هي خاضعة لمنطق الاتفاق الجماعي، هي أيضا خاضعة لمبدأ القصدية، نظرا لأن إدراكاتنا تختلف باختلاف ذواتنا وقصدياتنا، كما أنّ حواسنا ليست مجرّد مستقبلات حيادية تكتفي بدور النقل السليم والموضوعي للعلامة إلى المتلقي، بل هي أبعد من ذلك، تمتلك القدرة على التأثير على الجهاز والرسالة العصبية، هي حالة وعي، ونحن "نبني إدراكنا بحالات الوعي" [25]جميعها .

4. العلامة البيرسية ومسألة الموضعة الحسية:

باب التأويل هذا الذي فُتح حديثا، بفضل وساطة الجسد، في السيميائيات وفَتح معه منافذا للذاتية داخل حرم العلامات، مستفز للذّاكرة ومحفّز على التّجوال في عالمها، والتّرحال بين التّصورات المختلفة لها، من السوسورية إلى البيرسية، نظرا لأن **شارل سندرس بورس**CharlesSanders Peirceنال قصب السّبق في احتضان التأويل كعنصر من عناصر العلامة، مقرّا بثلاثيتها، وهذا ما يجعلنا نطرح سؤال الـ(هل) والـ(مدى):

هل كان **بورس** في مفهومه وتصوره الخاص للعلامة يؤسّس إلى وساطة جسدية؟ وما مدى استيعاب الدرس السيميائي المجسدن للتصور البيرسي للدّلالة؟

وللإجابة على هذا السؤال لابدّ من العود أدراجا قليلة نحو الوراء لاستحضار التّصور السّيميوطيقي البيرسي؛ بغية الحفر فيه، ولو بطريقة ساذجة، لربما نجد ما يسكت صوت الفضول فينا، ولعلّ أوّل ما يثير الانتباه هو الحدود المعرفية والمرجعيات الفكرية التي نمت وترعرعت في كنفها العلامة البيرسة؛ إذ عمد **بورس** إلى زرعها في تربة فلسفية تزاوج بين المنطق والفينومينولوجيا، يهدف من ورائها التصنيف والإجابة على سؤال الكيف؛ فإذا كان **سوسور** يبحث في العلامة من حيث جاهزيتها كمنجز تام؛ فإن **بيرس** على خلاف ذلك اهتم بسيرورة الانتقال من عنصر إلى آخر ضمن العناصر الثلاثة المشكلة للعلامة؛ أي ب"الطريقة التي أمكن (أو يمكن) لشيء أن يوجد بواسطتها" [26]، وبلغة فينومينولوجية إنّها الكيفية التي تجعل الفانيرون phaneron يظهر أو يتمثّل في الذّهن، والمقصود بالفانيرون هنا هو" تلك العناصر البارزة في الذّهن، أو كل ما يحضر في الذّهن وبأية طريقة أو معنى"[27]؛ فكل ظاهرة تكتسب دلالتها داخل الوعي البشري لا خارجه[28]، إنّها علامة تستجيب لمبدأ الضوء والمرئي منها، وقد عمد **بورس** إلى دراستها دراسة سميو-ظاهراتية تبتغي تمييزها وتصنيفها إلى مقولات ثلاث: أوّلانية (priméité)، ثانيانية (secondéit)، وثالثانية (tiercéité)، تربط بينها علاقات تمثل سيرورة إدراكية قبلية تؤدي إلى إنتاج الدّلالة؛ فالعلامة عنده ليست سوى النّاتج المرئي لمقولات فلسفية غير مرئية تعتبر أصل إدراك العالم والذّات، وتشكيل المعرفة وتلقيها، إنّها أثر سيرورة ثلاثية الصيغة[29]، الأولانية باعتبارها الحس الخام والنّوعيات، أو المحسوسات في ذاتها، ضمن كلية منفلتة من الذّهن ووجود احتمالي، هي مقولة الإمكان الخارج عن التّحديد، والمستقل عن الزّمن، باختصار، إنّها الإمكان المنفلت من الهنا والآن، المحكوم بالـ(قد) التي تتأرجح بين التّحقق واللّاتحقق، مستمرة في احتمالية لانهائية، ومرهونة بوجود الآخر للخروج من الهلامي والسّديمي واللّامفكّر فيه، ودخول مرحلة التّجسيد التي تشكّل مقولة فانيروسكوبية ثانيانية قابلة للتّفكير فيها وإدراكها[30]؛ فالثّانيانية حسب **بورس** هي"مقولة الوجود والفردية"[31]، لكنها هي الأخرى غير جديرة بالحديث عن صلابة الوجود، واكتمال التجربة وتشكيل القانون؛ لأنها رهينة بالهنا والآن، وتنقصها الرّمزية التي تضمن الفهم والتّواصل، ونضج المعرفة والدّلالة؛ فوحده الرّقم ثلاثة _حسب بورس _ يكفل الاكتمال والانفتاح على اللّانهائي؛ هو ضرورة تستحيل معها الثّنائية، والقانون الذي يضمن الدّخول إلى حرم العقل والفكر، ويؤسّس لذاكرة رمزية تُكوّن من خلالها أنموذجا للواقع، الثّالثانية

بساطة هي الوساطة كقدر للتّجربة الإنسانية، وبما أنّها كذلك راح **بورس** يجعلها بروتوكولا رياضيا يبني عليه سيميوطيقيته؛ فالعلامة البيرسية نفسها كانت رهينة العدد ثلاثة؛ باعتباره شرط إحالة الأوّل (الماثول) على الثّاني (الموضوع)[32]؛ فالمؤول كثالث هو "حجر الزّاوية في عمل العلامة وحراكها الدّاخلي"[33] إنّه الضّامن لحياتها تشكّلا وتداولا.

ويبدو أنّ هناك إمكانية استيعاب السّيميائيات الباريسية الحديثة لهذا البروتوكول الرّياضي البيرسي، في محاولاتها تأسيس منهج جديد يتسع للجسد كتجربة، أو باعتباره أساس كل تجربة إنسانية، ذلك لما بينهما من تقاطعات في بعض الخطوط العريضة، خاصة ما يتّصل بالمقولات البيرسية، باعتبارها قابلة لاحتضان مبحث الجسد، دون أن ننسى أن أعمال **بورس** كانت قد تُرجمت إلى الفرنسية في أواخر ثمانينات القرن الماضي، مما يجعل استضافة غريماس لها أمرا ممكنا وواردا ،إذا أخذنا في الحسبان أن كتاب "سيميائيات الأهواء" هو مولود تسعيني، لكنها استضافة لها خصوصيتها تستجيب لتطلعات جديدة، وتتجاوز ما قال به **بورس** عن إمكانية أخذ المؤول بمعزل عن المؤوّل، والنّوعيات والمحسوسات بمنأى عن الجسد الحامل لها، ليقع بسبب نظرته الفينومينولوجية المتعالية في فخ الناتج وهو في عز بحثه عن السابق عنه؛ إذ أخذ حاصل كل مقولة بمعزل عن سيرورة تشكلها، وهذا ما تداركه كل من **غريماس** و**فونتاني** في مشروعها الجديد؛ فلم يكتفيا بسؤال الكيف، بل راحا يطرحان سؤال كيف الكيف، بُغية تقصّي سيرورة الدّلالة من أصولها السّديمة القابعة في كنف الجسد، وكانت الالتفاتة الأولى نحو الهوى باعتباره جزء لا يتجزّأ من كينونة الإنسان، له القدرة على التّحكم في الميولات والأحكام، وبالتّالي المعنى والعلامات المشيّدة؛ فهذه الأخيرة ليست سوى "استظهار ما يُستبطَن في الذّات"[34]، إنّها حاصل حركة جسدية سابقة، ينتقل فيها الهوى من الدّرجة الصفر للحيوي إلى الانبثاق الدّلالي، ومن المتصل المنفلت من المعرفة والعقلنة إلى المنفصل كشرط أساس للمعنى والدّلالة، وبلغة بيرسية من الإمكان إلى التّحقق[35].

كانت محاولات **غريماس** وزميله **فونتاني** لاستقطاب الهوى رمزية ذات معجم فيزيائي يتماشى وتطلعات الجسدنة، وآخر بورسي –إذا أخذنا برأي احتمالية الاستفادة- يلائم فكرة الوساطة؛ إذ انتقلت عدوى العدد ثلاثة لسيميائيات الأهواء؛ فنجد المستوى الإستهوائي مقسما حسب المقولات الفانيروسكوبية البيرسية: مرحلة الإمكان وهي مرحلة الكتلة الإستهوائية، والحد الأدنى للحس في الوجود الإنساني، "نوعية خالدة لا تتأثّر بالزمان ولا تكترث بالمكان"[36]، إنها المتّصل والسديمي الذي لا يطاله ضوء الوعي والمعرفة، يتأرجح بين التّحييد والتّحديد، بين سلطة الضّرورة على الصّدفة، أو الصّدفة على الضّرورة، وهو ما يقابل الأوّلانية عند **بورس**، حتى وإن كان هذا الأخير قد أخذها في جاهيزتها عكس **غريماس** الذي راح يحفر، ولو بطريقة ساذجة، في تركيبتها، تعقبها مرحلة التجسيد كثانيانية تنتقل فيها السيرورة من المحتمل إلى الفعلي والواقعي، وتستقصد فيها الذات الظلال وتتبعها بغية الوصول إلى القيمة، إنها مرحلة اللاّ النافية التي تُغيب نظرة المتصل (الذات من أجل العالم والعالم من أجل الذات)، وتوجب اختراق الكتلة والوحدة كشرط لإنتاج علامة _كما يقول **بورس**_[37]؛ فيصبح العالم آخرا منفصلا يأذن بدخول حرم العقل والمعرفة، لكن هذا الدّخول مشروط بثالثانية يمثلها الرّمزي كضمان لامتلاك العالم (في هذه الحالة: القيمة وإدراك الهوى)، والتحرّر من مقتضيات التّجربة أو التّجسيد الصافي، بغية تحقيق الامتداد الزمني والمكاني؛ تجاوزا للهنا والآن وتأسيسا للفهم؛ فالثالثانية هي مقولة نحوية وسيطة تربط بين الممكن والمتحقق، بين الحسي والمعرفي، والدّال عليها في سيميائيات الأهواء هو تشكل المربع السيميائي كنواة دلالية.[38]

وبين هذا وذاك راح **غريماس** بعين ثالثة مجهرية يبحث في الكيفية التي تجعل الحسي يترك أثره المعنوي في المعرفي؛ مستفيدا من التّصورات السّيميوطيقية البيرسية ومتجاوزا لها في الآن ذاته؛ إذ لم يبحث فقط في الإمكان والتّحقق، بل اشتغل أيضا على مابينهما من تحيينات يمثلها التّوتير كتوجيه يسمح باستقصاد الإحساس، وإدراكه، والائتمان كشرط قبلي وأساسي لكل قيمة[39]؛ فالتّحيين هو منطقة برزخية بين حس خام وضوء يشير إلى معرفة في آخر النّفق، يرسم معالمها المآل باعتباره المعبر من المحتمل إلى المتجسّد، وهو –أي التّحيين- مرحلة وسيطة تمثل سيرورة الانتقال من الممكن إلى المتحقق في آنيته وفرديته، قبل تدخل الثالثانية كعمومية قانونية ورمزية ممتدة في الزّمن، بهذا أرسى كل من **غريماس** و**فونتاني** السّيميوز في التّجربة الحسّية، وعلى أساسه مدّ وريث **غريماس** خطوات بحثية أكثر بعدا عن أسوار

البنيوية والدّراسة المنطقية والشّكلية، وأشد قربا من الجسدي والتوجه الفينومينولوجي الذي يبدو أكثر رحابة لاحتضان استفسارات تخص إسهامات الجسد في صياغة التركيب الرمزي، وصلة التصنيف الحسي بالجانب الدلالي تحت إشكال: كيف يمكنناالانتقال من المعلومات الحسية إلى طرق التدليل الحواسية؟، وبأسلوب آخر: كيفية الانتقال من الطبيعي إلى الثقافي، ومن الخام إلى السيميوطيقي؟

وهنا تبقى احتمالية استفادة **فونتاني** هو الآخر في مشروعه السيميائي من المقولات البيرسية أمرا واردا "باعتبارها قادرة على تزويدنا بكل الوسائل الممكنة للإمساك بالتجربة الإنسانية في كليتها"[40] –على حد تعبير **بورس**-؛ إذ أن الانتقال من إدراك خام أو إحساس سيميائي يستدعي سيميوزا ذا حركة ثلاثية مشابهة للطرح البيرسي، باعتبار أن الإحساس الخام كحاصل لقاء بين الجسد والعالم على أساس تعددية الحواس، وتوفيقية وتناغمية المعلومات الحسية يمثل أولانية، لا تلبث أن تأخذ تصورا مستقلا عن المعطى المادي والطبيعي كثانيانية، تتخللها مقولة ثالثة تمثلها الذاكرة، لكن، هذه المرة ليست ذاكرة جمعية بل فردية تعود إلى تراث شخصي يؤدي إلى انزياح أو خروج عن الدّلالة الأولى، وبتعبير سيميائي إنّها الفكاك الذي يؤسس إلى استقلالية البعد الرمزي، وإعطائه طابعا شخصيا؛ فالثّالثانية في التوجه السّيميائي المجسدن هي بمثابة "قدرة المدلول على التّخلص من دلالته الأولى لكي ينشر شبكته التدليلية في اتجاهات متعددة"[41]، تحددها خصوصية الجسد وذاكرة الحواس الفردية والقيم المضافة على الدّلالة الحسّية البدئية أو الأولانية، إنّها الانزياح أو تجاوز العلامة الطّبيعية واستبدالها بأخرى ثقافية حاملة لقيم تغذيها الذّات باعتبارها حُكما خاصا، وقصدية ترافقها حركة تكون لها لبوسا يعمل على جسدنتها[42]، فوساطة الثّالثانية هي وساطة معقدة تتراوح بين معطى ومُستذكر، إنّها راهن يستقطب ذكريات أو كثافة تاريخية قادرة على تغيير مسار الدلالة [43]، مرحلة تعليلية تأذن بالخروج من التعيين إلى التأويل[44]، وتؤكد استقلالية البعد الرمزي؛ واستحالة التطابق بين المحسوس والمعقول، مما يجعل المدلول لا يدين للمحسوس بشيء إلا باعتباره قادرا على استدعاء ذاكرة معينة أو تفعيل انفعال محدّد وفتح سيرورة سيميوزية؛ فالإعداد السيميائي يبدأ مباشرة بعد الاتصال الأولي كانفتاح في الاستدال المشروط بإيقاف التلقائية لتحقيق الانزياح بين ما تمّ استهدافه وما تمّ ضبطه دلاليا، إذ أنّ إمكانية شم رائحة المال على الشّخص المتعامِل بها في غيابها كمادة شمية دليل على هذا الانفصال والانزياح،[45] الذي يفتح آفاق التأويل؛ فتصبح بموجبه الدّلالة إحالة، ويصبح البحث السيميائي تأملا في ظواهر الوعي من إحساس، وإدراك، وذاكرة، واستدلال، تماما كما رآه **بورس** سابقا[46].

بإمعان النّظر قليلا في استثمار **فونتاني** لمقولات **بورس**، يمكننا القول إنه استفاد من الهيكل الثلاثي وغذّاه بالتّصورات الفينومينولوجية الميرلوبونتية، التي تسمح بسيرورة سيميوزية مجسدنة، يساهم فيها الاستنباه الداخلي والخارجي وفق وساطة جسدية تستجيب لأطروحات **ميرلوبونتي**، وتدحض إمكانية عزل المؤول عن صاحبه، كما يرى **بيرس**.

5. السيميوز والتعالقات الجسدية:

إن محورية الجسد في العلامة والوظيفة السيميائية المشكلة لها تجعل الدلالة عبارة عن "سيرورة في الوجود، وفي الاشتغال، وليست معطى جاهزا يوجد خارج الفعل الإنساني"[47]؛ فالمدلول ابن الجسد وحاصل سيرورة وعي تحوي كافة مستويات الإدراك، وتخضع ل"للعلة التأسيسة"[48] المستجيبة لوضعية الجسد وانفعالاته المساهمة في تكوين متجدد للعالم، وتشكيل لصيرورته التاريخية؛ فالذات تعي العالم بواسطة الجسد، والشيء في ذاته لا وجود له إلا باعتباره قابلا لأن يصبح مدركا ومستقصدا، ذلك لأن "الجسد هو شرط إمكان موجودية هذا الوجود"[49]، إنّه صانع العالم كسابق بعدي، وكحاصل للبيجسدانية، مما يؤسس لاستحالة الفصل بين الذات وموضوعها، إنه بؤرة الوجود لكليهما، باعتبارهما وجهان لعملة واحدة؛ فأي وعي، أو إدراك للعالم هو في الآن ذاته إدراك ووعي بالجسد الخاص؛ ذلك لأن الوجود الإنساني هو وجود قصدي ذو خلق مضاعف، خلق للعالم وخلق للذات في الآن نفسه، كما أن الجسد غير قادر على عيش تجربته الأنطولوجية ككائن دون عالم؛ فهذا الأخير هو من يخرج الجسد من كونه كائنا غفلا لا يتعدى المعطى الطبيعي إلى آخر صانع يؤسس إلى الرمزية والثقافية[50] كشرطية وجوده؛ مما يجعلها (الجسد الخاص والعالم) يحققان

تشكلها وبروزها داخل السيميوز باعتباره سيرورة صناعة لامتناهية (صناعة عالم وصناعة جسد خاص)، إنه "محاولات الإنسان المضنية من أجل التخلص من براثن الطبيعة ... لكي يحتمي بعالم ثقافي (رمزي)"[51]، وما العلامة إلا حاصل هذه المحاولات، باعتبار وجودها رهين استعمال شيء ما موضع شيء آخر[52]، إنّها أثر صناعة وصانع، إذا استعرنا تصور **حنةأرندت** للأثر، تعمل على تشييد عالم أو مسكن وتحتضن رؤية ووجهة نظر الذات المنتجة[53] التي تتمتع بشيء من الحرية في صناعة الدلالات وفق مبدأ استقلالية التركيب الرمزي، وحرية أخرى في تحطيمها على أساس نفس المبدأ وعلى إيقاع التغيرات الانفعالية والحسية والسيميوز أيضا، على هذا الأساس، عبارة عن نسيج وكون تغيب فيه الحدود ويسقط الوجود في ذاته ليحل محله الوجود بالبينية والغيرية وشرطية الجسد، إنه حلقة وجود تعيد نفسها دون ملل، لا كحلقة مفرغة بل لتُكسب تكراراتها اختلافا، وتبدل في وظائف عناصرها؛ فيصبح المثل موضوعا والموضوع ممثلا[54]، ويغدو المحتوى تعبيرا والتعبير محتوى على أساس الإشارة والمحو، الإنارة والتعتيم، الإمكان والتحقق مؤقتا في لحظة معينة ووفق سياق محدد، إنّه "كيان لولبي"[55] وحركة نسيج لخيوط الوصل بين استنباهين أحدهما داخلي والآخر خارجي، يعقبه فكّ لإعادة نسج وفق حركة دائمة ولا نهائية، متناغمة مع حركة وإيقاع الجسد، يكون حاصلها في كل مرة علامة تمثّل أثر التماهي بين الداخل والخارج، بين العالم والذات، إنها ذات طبيعة فسيفسائية تجمع بين الآني والمستذكر، بين الحسي والمعرفي، وتحتضن شبح المحسوس والمادي، كما تحمل بصمة الجسد مما يجعلها ترث صفة الوساطة وبعضا من غموض كينونته.

6. البصمة والتحولات السيميائية من الجسد التواصلي إلى الجسد الدال:

سؤال آخر يُطرح ونحن نتحدث عن الجسد باعتباره استنباها أصلا يسكن الطية ويحقق الوصل بين دفتين: ما هو العضو أو العنصر الجسدي الأكثر استحقاقا لصفة الوساطة وخاصية الطية؟

إنّه الجلد، يُجيب **ديدي أونزيو**Didier Anzieuمن خلال أبحاثه؛ فالبشرة ليست مجرد إضافة جمالية غرضها الكسوة فقط، بل هي أبعد وأعقد من ذلك، هي الداخل والخارج، واللا هذا ولا ذاك في الوقت نفسه، وصل وفصل، بينية وحافة طيّة، إنها المعطى للنظر تحقق تناغمية الأعضاء وتصل بين الحواس الداخلية، ومن وظائفها التي حدّدها لها صاحب الأنا-بشرة، وظيفة سطح تسجيل surface d'inscription الآثار الخارجية الدّالة، مما يجعلها جديرة بالسميأة، والاحتضان داخل المشروع الدلالي الجديد، وهذا ما فعله **فونتاني**؛ فالجسد عنده ليس طاقة وحركة فقط بل هو مادة أيضا تحقق الامتداد لهذه الشدة، والبشرة أكثر جانب مادي قادر على عكسها؛ فالحركة والغلاف ليسا مجرد مفهومين غير قابلين للتوفيق، بل إنّهما وجهان للتكوين نفسه، ومرحلتان للعملية ذاتها، الخاصة بالتحويل الإيديتيكي الذي تولد أيقونة عاملية انطلاقا من هذا التفاعل بين المادة والطاقة، كون الإرساء الجسدي للدلالة لا يستقيم دون الوصل بين الأشكال الدالة والأنظمة الديناميكية [56]؛ إذ لا وجود ل"شدة إلاّ سبق وتطورت في امتداد وتغطت بكيفيات"[57] مما ينفي عن البشرة كغلاف كونها شيئا ثانويا، بل بوتقة حقيقية للوظيفة السيميائية، ومظهرا ملموسا لتشكيل الحالات المعلن عنها؛ فيصبح بموجبها السيميوز ذو تعالقات مادية، ويتحول مجرى الاهتمام السيميائي من الجسد التواصلي إلى الجسد الدال، باعتبار الغلاف صورة سيميائية تشغل وظيفة أيقونية تسعى جاهدة إلى موازنة التوترات السطحية وتحويل العميقة منها إلى السطح،[58] هذا الأخير يُعطي نفسه للكتابة والنقش، ليفتح في علم المعاني آفاقا وتطلعات جديدة همها البحث في التسجيل والكيفية التي تجعل الجسد قادرا على حمل بصمات ذات حمولة دلالية تتجاوز الزمكانية الآنية إلى السير في دروب الذاكرة القاهرة للفناء الكلي، وقد وجدت العلامة في هذا فرصتها للهروب من قدرية الموت نحو الخلود بتخليفها بصمة تُقاوم النسيان والاندثار، وتجعل الحضور في الأثر إيذانا بغياب؛ إذ يبدو أن قدر العلامة أن تحيا أثرا، وهذا القدر متجذر في اشتقاقها اللغوي؛ فـ séma التي تعني علامة يُقصد بها أيضا شاهدة القبر [59]كأثر للكان هنا واستحضار للطيف في عز الفقد، وما البصمة إلا إحدى قوى العلامة المقاومة للموت والقابعة فيه في الوقت نفسه، وإذا تحدثنا بأسلوب علاماتي يمكننا القول أنها علامة قرينية، تقوم على أساس السببية والتعليل، وعلى مبدأ الكمون والإحالة إلى موضوع ما أو دلالة معينة[60]، أعاد من خلالها **فونتاني** العلامة إلى أصولها الأولى، ومنابتها الإغريقية، باعتبارها عَرَضًا مرضيا لكن، هذه المرة لا يرتبط بالمرض فقط بل بتاريخ يبرر انبثاقا دلاليا

ويرافق تشكلا خطابيا، إنّها قدرة عقارب الساعة على عكس وجهتها نحو الخلف، نحو "القبلي l.apriori"[61]، بغية تتبع العلاقة بين الدلالة وقرينها، وبين التعبير والمحتوى، وقد جعل **فونتاني** من أهم شروط إمكانها: حضور الجانب المادي اللاإرادي، لتتحقق فيها خاصية اللمس بصيغتيه: اليدوية والبصرية (haptique/ optique) ؛ فتكون البصمة جديرة بالاحتضان السيميائي المجسدن، ما دام التعبير قادرا على أن يأخذ شكلا ماديا على مستوى سطح التسجيل (الغلاف) كوسم أو رسم، كنقش أو توقيع براني يعكس في تضاريسه ما هو جواني (المحتوى)؛ فالبصمة هي لكسيم lexéme كسرد مكثف يخفي وراءه تكوينا أكثر كثافة وتعقيدا، إنها كتابة حُبلى بتاريخها تجر معها أثر تفاعلات قبلية بين المادة والطاقة، إذ أنّ تشكلها وتكوينها سليل بينية الغلاف كمادة بين حركتين، إحداهما داخلية ذاتية وأخرى خارجية ناتجة عن الاحتكاك بالعالم أو تأثيرات الزمن الذي يأبى العبور دون أن يترك أثرا دالا على أنه مر من هناك[62]، وهذا يجعل البصمة كينونة هجينة تمزج بين ما هو ذاتي وما هو غيري (é(au)tre)؛ فبقدر ما تُكسب شكل الفاعل ميزة تؤسس لفردية ذاتية مضاعفة، بقدر ما تجعله مدينا للآخر (كيفما كان) بهذا التفرد.

البصمة "سفر مجزّأ"[63] بين الذاتي والغيري، الهنا والهناك، والآن وما قبله، إيذان بغياب ودعوة للعودة كشبح يغريه الوسم ليتردد ويتكرر، لأنها بقدر ما تبدو عليه من ثبات يعكسه الجانب المادي، بقدر ما تحمل أيضا حركة دلالية قابعة تحت ذلك السكون، مثل قشرة أرضية تخفي داخلها بركانا دائم الغليان؛ فتغدو معها الدلالة سيرورة إعادية وفق عقد مبرم مع الذاكرة، تعيد استدعاء شبح الحدث أو الموضوع دون ملل رغم مخاتلة هذا الأخير، وتضمن غلبة الانشطارات التي تجعل للغلاف النفسي أحقية في البصمة نتيجة ما يسجل عليه من انفعالات أو أهواء ترافق الملموس منها، ومن هذا وذاك تصبح العلامة صيرورة دائمة الترحال بين الحضور والغياب، التجلي والخفاء[64]، ودائمة التنقل بين التعبير المستلقي على السطح والمحتوى القابع بين أحضان الذاكرة وحركية التوترات.

-.خاتمة:

وفي الختام يمكننا رصد النتائج المتوصل إليها على النحو التالي:

1. تم تهميش الوساطة الجسدية في السيميائيات السردية بغاية خدمة النسق والبنية، وتحقيق مبدأ المحايثة والتعالي.
2. بدأ اهتمام السيميائيات بالجسد في ثمانينيات القرن العشرين، وتعتبر سيميائية الأهواء بمثابة الانطلاقة الفعلية لإرساء الوساطة الجسدية داخل التصور الجديد للعلامة وبالتالي تحريرها من فكرة التجريد لتغدو ذات تعالقات جسدية وحسية.
3. إن إرساء الجسد داخل العلامة جعل الدلالة عبارة عن سيرورة في الوجود وفي الاشتغال وليست مجرّد معطى جاهزا يوجد خارج الفعل الإنساني؛ فالمدلول ابن الجسد، وحاصل سيرورة وعي تحوي كافة مستويات الإدراك.
4. تتعامل السيميائيات مع الجسد على أنه كون سيميائي يشارك في الانبثاق الدلالي، بل هو أساسهذا الانبثاق.
5. يبحث جاك فونتاني في سيميائية الجسد عن الكيفية التي تجعل الأنظمة الحسية المختلفة تتعاون في تشكيل دلالة متماسكة، وهو بذلك يشدد على جسدية الدّلالة وتوفيقية الحواس القائمة على نواة حس-حركية يعتبرها شرطا أساسيا لتماسك المعنى والوظيفة السيميائية.
6. من أجل تحقيق الجسدنة عمد جاك فونتاني على تبني الطّرح الهيلمسليفي للعلامة، واتخاذ عنصريها (التعبير/ المحتوى) كبديل لـ (الدّال/ المدلول) السوسوري وسبب ذلك أنّ الافتراض المتبادل بين التعبير والمحتوى هو علاقة تضامن هشّة ومتحرّكة ولها دافع يتطلّب شرح الفاعل وتفسيره.
7. كان للمقولات الفانيروسكوبية البيرسية أثرها الواضح على السيميائيات المجسدنة لاسيما سيميائية الأهواء التي نجد مستواها الهووي مقسما حسب تلك المقولات.

8. الجسد في السيميائيات ليس مجرّد حركة بل غلاف أيضا يشغل وظيفة "سطح تسجيل" قابل لأن تنتقش عليه بصمات، تشارك في الدلالة.
9. البصمة كعلامة هي عبارة عن صيرورة دائمة الترحال بين الحضور والغياب، التجلي والخفاء ودائمة التنقل بين التعبير المستلقي على السطح والمحتوى القابع بين أحضان الذاكرة وحركية التوترات.

7. ببليوغرافيا البحث:

* **الكتب العربية:**

1. أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، وضفاف، لبنان، 2005.
2. جاك دريدا فيلسوف الهوامش، تأملات في التفكيك والكتابة والسياسة، إشراف وتحرير: محمد بكاي، ط1، منشورات ضفاف، لبنان، والاختلاف، الجزائر، 2017.
3. رسول محمّد رسول، فلسفة العلامة، من جون سانت توماس إلى جيل دولوز، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 2015.
4. سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، وضفاف، لبنان، 2015.
5. سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، مدخل لسيميائيات ش. س. بيرس، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
6. سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، من الهرموسية إلى السيميائيات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، الاختلاف، الجزائر، 2012.
7. عبد العزيز بومسهولي، في تجربة الجسد أو الحق العيني للوجود البيجسداني، ط1، مركز الأبحاث الفلسفية، المغرب، 2010.
8. محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، ط1، الاختلاف، الجزائر، وضفاف، لبنان، 2015.

* **الكتب المترجمة:**

1. أ.ج. غريماس، جاك فونتاني،سيميائيات الأهواء، ت: سعيد بنكراد، ط1، دار الكتاب الجديد، لبنان، 2010.
2. جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، ت: عبد الرحمان بوعلي، ط1، الحوار، اللاذقية، سوريا، 2004.
3. حنة أرندت، الوضع البشري، ت: هادية العرقي، جداول ومؤمنون بلا حدود، دط، دت.
4. ريجيس دوبري، حياة الصورة وموتها، ت: فريد الزاهي، إفريقية الشرق، دط، دت.
5. ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتلي، النّظريات اللّسانية الكبرى، من النّحو المقارن إلى الذّرائعية، ت: محمّد الراضي، ط1، المنظّمة العربية للتّرجمة، بيروت – لبنان، 2012.
6. موريس ميرلوبونتي، ظواهرية الادراك، ت: فؤاد شاهين، معهد الانماء العربي، دط، دت.

* **الكتب الأجنبية:**

Jacques Fontanille, Soma et Sema, figures du corps , Maisonneuve et Larose , paris,2003

الهوامش:

1 Jacques Fontanille, Soma et Sema, figures du corps , Maisonneuve et Larose , paris,2003, p13-14.

2: يُنظر، موريس ميرلوبونتي، ظواهرية الادراك، ت: فؤاد شاهين، معهد الانماء العربي، دط، دت، ص.25

3: سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، وضفاف، لبنان، 2015، ص 30.

4 : Jacques Fontanille , Soma et Séma , p135.

5: يُنظر، أ.ج. غريماس، جاك فونتاني، سيميائيات الأهواء، ت: سعيد بنكراد، ط1، دار الكتاب الجديد، 2010، من مقدّمة المترجم، ص 13.

6: موريس ميرلوبونتي، ظواهرية الإدراك، ص35

7: أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، وضفاف، لبنان، 2005، ص4

8: يُنظر، ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتلي، التظريات اللّسانية الكبرى، من التحو المقارن إلى الذّرائعية، ت: محمّد الراضي، ط1، المنظّمة العربية للتّرجمة، بيروت – لبنان، 2012، ص117- 118.

9: جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، ت: عبد الرحمان بوعلي، ط1، الحوار، اللاذقية، سوريا، 2004، ص62

ظواهرية الإدراك، المرئي واللاّمرئي، العين والرّوح.*

10: ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتلي، التظريات اللّسانية الكبرى، من التحو المقارن إلى الذّرائعية، ت: محمّد الراضي، ص117- 118.

11: يُنظر، المرجع نفسه، ص120

12: رسول محمّد رسول، فلسفة العلامة، من جون سانت توماس إلى جيل دولوز، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، 2015، ص83

13: سعيد بنكراد، السيميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص20

14: يُنظر، المرجع السابق، ص84

15 : Jacques Fontanille, soma et sema, p90-91.

16: موريس ميرلوبونتي، ظواهرية الإدراك، ص190

17: أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، ص55

18: المرجع نفسه، ص43-44.

19: عبد العزيز بومسهولي، في تجربة الجسد أو الحق العيني للوجود البيجسداني، ط1، مركز الأبحاث الفلسفية، مرّاكش، المغرب، 2010، ص84.

20 : Jacque Fontanille, soma et sema, p22-23

21 :Ipid,p13

22 : ipid, p13

23 يُنظر، أمبرتو إيكو، العلامة، ت: سعيد بنكراد، ص17

24: المصدر نفسه، ص207

25: موريس ميرلوبونتي، ظواهرية الإدراك، ص33.

26: جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، ت : عبد الرحمان بوعلي، ص86 .

27: رسول محمد رسول، فلسفة العلامة، ص120.

28: يُنظر، سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، من الهرموسية إلى السيميائيات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، الاختلاف، الجزائر، 2012، ص267.

29:يُنظر، سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، مدخل لسيميائيات ش. س. بيرس، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص41-45.

30: يُنظر، المرجع نفسه، ص 41- 56.

31: جيرار دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامات، ت: عبد الرحمان بوعلي، ص34.

32: يُنظرالمرجع السابق، ص 62-74

33: رسول محمّد رسول، فلسفة العلامة، ص 128-129

34: محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، ط1، الاختلاف، الجزائر، وضفاف، لبنان، 2015. ص75 .

35: يُنظر، أ.ج. غريماس، جاك فونتاني، سيميائيات الأهواء، ص69

36: المصدر نفسه، ص31

37: يُنظر، سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، ص171.

38: يُنظر، غريماس، فونتاني، سيميائيات الأهواء، ص69
39: يُنظر، المصدر نفسه، ص31-33
40: سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، ص48.
41: أمبرتو إيكو، العلامة ، ص17.
42 : Jacques Fontanille,soma et sema, p131.
43: يُنظر، موريس ميرلوبونتي، ظواهرية الإدراك، ص33
44:يُنظر، سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، ص176.
45 : Jacques Fontanille, soma et sema, p92-93, 121.
46: يُنظر، أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، ص55.
47: سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، ص133-134.
48: عبد العزيز بومسهولي، في تجربة الجسد، ص43.
49: المرجع نفسه، ص29.
50:يُنظر، المرجع نفسه، ص44-45.
51:يُنظر، أمبرتو إيكو، العلامة، ص8.
52: يُنظر، المرجع نفسه، ص9
53: يُنظر، حنة آرندت، الوضع البشري، ت: هادية العرقي، جداول ومؤمنون بلا حدود، دط، دت، ص165، 172
54: يُنظر، أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، ص56.
55: سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، ص131.
56 : Jacques Fontanille,soma et séma, p :124, 129.
57: جيل دولوز، الاختلاف والتكرار، ص421.
58 Jacques Fontanille, Soma et séma, p :127.
59: بتصرّف، ريجيس دوبري، حياة الصورة وموتها، ت: فريد الزاهي، إفريقية الشرق، دط، دت، ص18.
60:بتصرف، أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، ص92، 97.
61: محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، ص143.
62 : Jacques Fontanille, soma et séma, p252-254.
63: محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، ص105.
64: بتصرف، جاك دريدا فيلسوف الهوامش، تأملات في التفكيك والكتابة والسياسة، إشراف وتحرير: محمد بكاي، ط 1، منشورات ضفاف، لبنان، والاختلاف، الجزائر، 2017، ص102.